

دلالات الحملات التوعوية المناهضة للعنف الرقمي ضد المرأة في تونس تحليل سيميولوجي لحملة "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء □ والفتيات"

The Significations of Awareness Campaigns Against Digital Violence Targeting Women in Tunisia A Semiological Analysis of the "Together Against Digital Violence Inflicted Upon Women and Girls" Campaign

عبد الرؤوف وشان

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 (الجزائر)، a.ouchene@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 20 / 05 / 30

تاريخ القبول: 2026 / 05 / 08

تاريخ الاستلام: 2026 / 02 / 02

ملخص:

اشتغلت الدراسة على مسألة الحملات التوعوية المناهضة للعنف الرقمي الممارس على المرأة في تونس، وبحثت في طبيعة الدلالات التي تحاول هذه الحملات تمريرها لذهن المتلقي بهدف خلق ردة فعل لديه وتكوين مدركاته حول الظاهرة، وكذا توعيته ومحاولة تغيير سلوكه وإقناعه بضرورة المشاركة في التصدي لها. هدفت الدراسة إلى استنطاق الحزمة الدلالية التي أنتجتها الحملة التوعوية محل الدراسة والكشف عن أبعادها الضمنية في سياقها المتشكل عبر النسق التواصلية المرئي المتوارد في فايسبوك، وفق مقاربة رولان بارت لتحليل الصور الثابتة سيميولوجيا، لتخلص إلى كثافة الدلائل الأيقونية والألسنية الموظفة، ورمزية الرسائل التشكيلية التي اعتمدتها هذه الحملة لبناء تصورات تساعد المتلقي على إدراك ظاهرة العنف الرقمي ضد المرأة في تونس من أجل إنتاج ردة فعل لديه وحثه على المشاركة في مجابهة الظاهرة. الكلمات المفتاحية: تونس؛ الحملة التوعوية؛ الدلالة؛ السيميولوجيا؛ العنف الرقمي.

Abstract:

The study addressed awareness campaigns against digital violence directed at women in Tunisia. It explored the nature of the messages these campaigns aim to convey to the audience, with the objective of influencing their perception of the phenomenon.

Using Roland Barthes' semiological approach, this study analyzes the connotative significations of a Tunisian campaign against digital violence. The findings highlight a density of iconic, linguistic, and plastic signs utilized to construct perceptions that elicit audience engagement. By decoding these symbols, the campaign seeks to mobilize collective action and halt harmful behaviors that infringe upon women's freedoms and safety within cyberspace.

Keywords: Awareness Campaign; Digital Violence; Semiology; Signification; Tunisia.

ا. مقدمة

ولدت الثورة التكنولوجية تحولا هاما في بنية التفاعل الإنساني، وأعادت تشكيل الروابط الاجتماعية عبر الوسائط التفاعلية، لتبرز عدة جدليات كالعنف القائم على النوع الاجتماعي، فلقد احتضنت شبكات التواصل الاجتماعي هذه الظاهرة لتعيد إنتاج الهيمنة وممارسة العنف الرقمي ضد المرأة، وتؤكد الدراسات النقدية المعاصرة أن تفاقم العنف الرقمي الممرس ضد المرأة أضفى تهديدا بنويا يقوض السلم النفسي والاجتماعي للنساء، ويعيق اندماجهن الآمن في الفضاء العام (الواقعي والافتراضي).

بناء على ما سبق؛ تتضح أهمية الحملات التوعوية ودورها في تسليط الضوء على الظواهر السلبية المنشرة في الواقع العيني والفضاء الافتراضي متعدد الوسائط، خاصة وأنها أداة استراتيجية للمقاومة الرمزية، تستهدف إحداث التغيير الثقافي والاجتماعي وتنطلق من ثنائية التوجيه والإقناع لتحقيق مكتسبات تُراهن على حجب أو التقليل من الديناميكيات السلبية وتغيير نظرة الآخر تجاه القضايا الاجتماعية أو الصحية أو الثقافية، وتتأسس الحملات التوعوية الرقمية - في هذا الشأن - كرافد تفاعلي مهم يبسط عبر "الافتراضي" قدرته على استهداف أكبر قدر ممكن من الجماهير (عموم مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي) لتعويض القصور والإكراهات التي تواجه الحملات التوعوية الميدانية رغم أهميتها هي الأخرى.

من هذا المنطلق، تسعى الحملة التوعوية التي أطلقتها المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في تونس لإحداث تغيير اجتماعي وإعادة صياغة الوعي الجمعي فيما يتعلق بمسألة مناهضة العنف الرقمي ضد المرأة، خاصة في ظل استفحالها داخل الفضاء الافتراضي في تونس، وتنامي أثارها البنيوية الخطيرة على المجتمع والتي تمس سيكولوجية المرأة، وبما أنّ الحملة التوعوية ارتكزت على النسق المرئي وما يحمله من دلالات معلنة ومضمرة؛ نحاول من خلال هذه الدراسة فك شيفرتها ومحاولة فهم وتأويل دلالاتها.

من هذا المنظور، يمثل موضوع دلالات الحملات التوعوية المناهضة للعنف الرقمي ضد المرأة في تونس مصدرا للحفر المعرفي نظرا لأهميته وظروفه، وتموقعه الافتراضي الذي أرسى تعدد أشكاله وخطورة تأثيراته، وكذا وجوب توظيف الوسائط الجديدة في خلق حملات توعوية تهدف إلى تحجيم الظاهرة وتغيير الصورة النمطية المرافقة لها والتعامل "الغير مبرر" تجاهها، وبما أنّ الأنساق البصرية ذات قدرة تأثيرية معتبرة تتيح إمكانية ترسيخ الأفكار وتداولها عبر منصات التواصل الاجتماعي خاصة فايسبوك، سندسعى من خلال هذا المقال إلى استنطاق دلالات الحملات التوعوية الرقمية المناهضة للعنف ضد المرأة - حملة "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء والفتيات" - في محاولة لتفكيك دلالاتها السيميولوجية.

تطرح الدراسة إشكالية مبنية على سؤال رئيسي مفاده:

ما طبيعة الدلالات الضمنية للحملة التوعوية "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء والفتيات"؟
تنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، أهمها:

- كيف عالج المرسل موضوع العنف الرقمي ضد المرأة من خلال حملته التوعوية؟
- ما الدلالات المرئية والألسنية المضمرة في خطاب الحملة التوعوية قيد الدراسة؟
- كيف استثمر المرسل سيميولوجيا في الألوان والرموز لترسيخ الحملة الإلكترونية المختارة؟

ii. مقارنة الدراسة

تعتمد الدراسة على المقاربة السيميولوجية، التي تعتبر حسب رولان بارت Roland Barthes: " شكلا من أشكال البحث الدقيق في المستويات العميقة للرسائل الإعلامية، والتي يلتزم فيها الباحث الحياد نحوها، ويعتمد على الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية، التي تساعد في تدعيم التحليل، فالتحليل السيميولوجي يحفر في مضامين الرسالة والخطابات الإعلامية، ويسعى لتحقيق التحليل النقدي، فهي بالتالي

تحليل كفي واستقرائي للرسالة ذو مضمون ظاهر وباطن (Lazar, 1991). لقد اخترنا مقارنة رولان بارت باعتبارها مقارنة أساسية في التحليل السيميولوجي تقوم على المستويين التعييني والتضميني، وتسمح لنا بوصف وتفسير كيفية توليد المعنى واشتغاله، وفهم التفاعل الدلالي للنسق المرئي قيد التحليل، حيث سنقوم بتفكيك عناصر الإرسالية التوعوية وإعادة بناءها علائقيا وربطها بسياقها السوسيوثقافي الذي نشأت فيه، وتحليل رسائلها الألسنية والتشكيلية والأيقونية لاستنطاق المضمرة أو الرسائل الخفية التي يحاول المرسل تمريرها إلى ذهن المتلقي بخصوص مسألة العنف الرقمي المسلط على المرأة.

III. مجتمع الدراسة وعينتها

يتمثل مجتمع الدراسة في الأنساق المرئية للحملة التوعوية التي أطلقها مكتب المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في تونس عبر صفحته في فايسبوك، خلال الفترة الممتدة من 25 نوفمبر 2025 إلى غاية 10 ديسمبر 2025؛ والتي ركزت على موضوع مناهضة العنف الرقمي ضد المرأة، حيث قمنا باختيار مفردة بأسلوب قصدي، كونها تمثل النسق المرئي الأساسي لهذه الحملة، لاسيما أنها تتضمن رسائل ألسنية وتشكيلية وأيقونية كثيفة تستدعي تأويلها واستنطاق دلالاتها.

أولاً: العنف الرقمي ضد المرأة وواقعه في تونس

تعد ظاهرة العنف الرقمي ضد المرأة من بين إفرازات الانتقال إلى "الافتراضي"، فلقد شهدت نموا مطردا في وسائل التواصل الاجتماعي التي تشكل رافدا أساسيا للممارسة والتحرير على العنف ضد المرأة بشتى أشكاله، وهو ما يشكل تهديدا جندريا جديدا يُضاف إلى ما يشوب وضعية المرأة في راهن بعض الدول كتونس.

1. جدلية العنف الرقمي ضد المرأة

يُعد العنف ضد المرأة وفقا للتوصية رقم 19 لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW) بأنه: "العنف الموجه ضد المرأة نظرا لكونها امرأة، أو ذلك السلوك الذي يؤثر عليها بشكل سلبي، وهو يشمل الأذى أو التسبب بمعاناة جسدية أو عقلية أو جنسية، والتهديد بمثل هذه السلوكات والإكراه، إلى غير ذلك من أشكال الحرمان من الحرية" (Rai & Others, 2017)، فيما يعتبره بوال وهنري (Powell & Henry, 2017) "شكلا من أشكال العنف الذي تستخدم فيه أدوات إفتراضية" (Özsungur, 2021)، فالعنف الرقمي ضد المرأة يشمل شتى أشكال التهديد، الابتزاز وكل أنماط الإساءة اللفظية وغيرها، التي تتم ممارستها في الفضاء الافتراضي، والتي تترك آثارا سيكولوجية على المرأة وتسبب لها الأذى.

رغم أنّ الإعلام الجديد قد وفر فضاء للمرأة للتعبير عن نفسها -نسبيا- خاصة في المجتمعات المغلقة، بيد أنها تتعرض لإكراهات وتهديدات قائمة على أسس جندرية في الأغلب، تهمل من المخيال السوسيوثقافي للمجتمع، وتراكمات العنف الممارس ضد المرأة في بعض المجتمعات.

ففي العصر الرقمي، بناء على الإساءة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت الحياة الخاصة للمرأة تشكل موضوعا لسلوكيات العنف، وجرى المساس بخصوصيتها، فعلى سبيل المثال يُرمز للمرأة في وسائل الإعلام المرئية على أنها كائن جنسي وهو ما أفضى لتعطل توازن عملها الأسري بسبب العنف الرقمي، وفي مجملها خلقت هذه التطورات رسائل سلبية بالنسبة للنساء اللائي يشكلن البنية الأساسية للمجتمع في السياقات الإدراكية والثقافية للأجيال القادمة (Özsungur, 2021)، فعلى حد تعبير ريتوبارنا Rituparna كراهية النساء متجذرة بعمق في بعض الثقافات (Bhattacharyya, 2018).

يمكن استجلاء العنف الرقمي الممارس على المرأة حسب شيفندو كومار راي (Shivendu Kumar Rai) من خلال العناصر التالية: الجاني (الشريك، الآباء، الغرباء، المجتمع..)، النظام الأساسي الذي يستخدمه

الجاني (الهاتف المحمول، شبكات التواصل الاجتماعي، البريد الإلكتروني، المواقع الإلكترونية، كاميرا الويب)، طبيعة العنف (التحرش عبر الأنترنت، المضايقة الإلكترونية، الاعتداء الجنسي والاعتصاب) نوع العنف الرقمي (التهديد، الابتزاز، سرقة الهوية، تداول الحياة الشخصية للضحية)، إذ ينقسم العنف الرقمي ضد المرأة - حسبها- إلى خمس فئات: المضايقات والمطاردة عبر الأنترنت من خلال رسائل نصية وتعليقات، عنف الشريك الحميم من خلال التهديد بنشر الحياة الحميمة بينهما، الاعتصاب والاعتداء الجنسي الذي تستخدم فيه التكنولوجيا لتتبع نشاط الضحية، العنف ضد المجتمعات كاختراق مواقع منظمات حقوق المرأة، ثقافة العنف التي تخلقها التكنولوجيا (Rai & Others, 2017).

2. واقع العنف الرقمي ضد المرأة في تونس

تشهد ظاهرة العنف الرقمي ضد المرأة تزايداً ملحوظاً في البلدان العربية، كما تتنوع أشكاله في وسائل التواصل الاجتماعي من إساءات لفظية وعنصرية في الرسائل الخاصة، وسلوكات التنمر والابتزاز وتشويه السمعة (بوعلي، 2020)، ففي تونس تشير المنظمات الحقوقية إلى استفحال هذه الظاهرة التي أضحت تمس غالبية النساء التونسيات ضمن الفضاء الافتراضي، في حين أنّ النساء المتضررات من العنف الرقمي يلجأن في غالب الأحيان إلى الصمت، وهو الأمر الذي ينعكس على سيكولوجيتهن، وقد يفسر الأمر من منطلق مجتمعي أساسه التمثلات التي يحملها المجتمع تجاه المرأة في الواقع العيني، وتمدها -أي التمثلات- إلى الافتراضي؛ فهي سلوكات تحظى بقبول -نسبي- لذلك ترفض المرأة المتضررة غالباً تقديم شكوى ضد "المعتفين"، لأنها في الأغلب ستلام في وسطها الأسري المجتمعي، وسيقارب سلوكها هذا من منطلق تشويهي.

في سياق فهم ظاهرة العنف الرقمي ضد المرأة التونسية، تجدر الإشارة إلى أنّ فايسبوك Facebook يعد الموقع أكثر انتشاراً في تونس، وبحسب دراسة لصندوق الأمم المتحدة للسكان بتونس، فإنّ حوالي 60% من التونسيات قد تعرضن خلال حياتهن للعنف الرقمي بمختلف أشكاله (31% التحرش الجنسي الإلكتروني، 24% الملاحقة الرقمية، 23% اختراق الحسابات والابتزاز.. (فريق التحرير، 2025). ففي بحث ميداني أجراه مركز الكريديف من خلال استجواب عينة مكونة من 573 مشاركة، بيّنت النتائج أنّ الفضاءات الرقمية في تونس أضحت غير آمنة، وتُشكل خطراً على مشاركة النساء والفتيات في الحياة العامة والسياسية من خلال تعرضهن لشق أشكال العنف من قبيل التشهير والتنمر (وزارة المرأة والأسرة والطفولة، 2020).

فالإحصائيات المعلنة على مدار السنوات الأخيرة تؤكد أنّ العنف الرقمي الممارس تجاه المرأة في تزايد مستمر ذلك أن نسبه تفوق الـ 50%، ففي استطلاع للرأي أجراه المركز التونسي للبحوث والدراسات والإعلام حول المرأة، تأكد أنّ 89% من المستجوبات تعرضن لمختلف أشكال العنف الرقمي (بن الحاج، 2021).

ثانياً: الحملات الرقمية ومساءلة المناهضة للعنف ضد المرأة

تمثل الحملات التوعوية الإلكترونية نمطاً تواصلياً إبلاغياً يحوز مجموعة مواصفات حداثيّة تحتاج في عملية التغيير الثقافي والاجتماعي، بيد أنّ منصات الإعلام الجديد تطرح جدليات بحثية تقارب أدوارها وتأثيراتها المتضادة، ذلك أنها قد تشكل فضاءً لممارسة بعض السلوكيات السلبية، فيما تتيح -في نفس الوقت- إمكانية استثمار خصائصها بالشكل المطلوب لإحداث التغيير والعمل على التوعية بالسلوكيات التي انتقلت من طورها الواقعي وتشعبت داخل الفضاء الافتراضي، فالحملات التوعوية تحاول بناء تصوّرات فكرية وتمير رسائل تتكوّن لدى عموم المستخدمين لتغيير الصورة النمطية لظاهرة معينة، كتلك المتعلقة بالعنف الرقمي ضد المرأة.

1. أهمية الحملات التوعوية الرقمية

تعد الحملات التوعوية الرقمية عمل جماعي تطوعي منظم يستهدف إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي والسياسي داخل المجتمع عن طريق استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيط لحجم التفاعلات أو المزج بينه وبين فعاليات على أرض الواقع (عبد الحميد و عاطف، 2014)، وتساعد الحملات التوعوية المناهضة للعنف ضد المرأة -بشكل خاص- على توعية الجمهور وتمير رسائل إلى ذهنه تحتاج في سلبية السلوك، وتسعى لمطاردة الصور النمطية المتجذرة في بعض السياقات السوسيوثقافية التي يمارس في خضمها "العنف ضد المرأة" كسلوك مبرر، بيد أنه من الواضح أنها في السياق العربي جد محتشمة، تكاد تكون مناسباتية وغير مخطط لها في غالب الأحيان، رغم أهميتها البالغة وقدرتها التأثيرية.

تتأتى أهمية الحملات التوعوية الرقمية خاصة، بالنظر إلى أن الظاهرة وإن اعتبرها بعض الباحثين امتدادا للواقع وفسرها آخرون من منطلق أنها تعكس التحول الذي تشهده المجتمعات من الواقعي إلى الافتراضي وما يترتب عنه من ترسبات تصب في إنتاج وإعادة إنتاج الظواهر الاجتماعية؛ تطرح جدليات بحثية أكثر أهمية، كونها في نسق تصاعدي يفضي إلى خطورة الأشكال الافتراضية للعنف الممارس ضد المرأة، وقابليتها للتداول والتفاعل ضمن مجتمعات افتراضية تتميز بتمكين عموم المستخدمين من خاصية إخفاء هويتهم، ما يحول دون إمكانية ضبط سلوك العنف تجاه النساء، ضمن هذا المنظور تتموقع الحملات التوعوية المناهضة لهذا النمط من العنف كركيزة أساسية واستراتيجية ينبغي الاهتمام بها، نظرا لأهمية وفاعلية الحملات الرقمية.

كما تبرز أهمية الحملات الرقمية "بشكل عام"، فيما يلي: (ناصر، 2022)

- توفر الكثير من النفقات التي تبذلها الحملات التقليدية.
- سهولة إجراء التعديلات المناسبة على الحملات الرقمية، من حيث التصميم أو الشكل.
- تساعد على التواصل مع جماهير جديدة، وبناء علاقات عميقة ومستدامة مع الجمهور الحالي، وتعزيز الشعور بالمشاركة والتقارب.

2. الاستثمار في الوسائط الجديدة لمناهضة العنف الرقمي ضد المرأة

تساهم الوسائط الجديدة في انتشار العنف الرقمي ضد المرأة، في المقابل تتيح هذه الوسائط خاصة منصات التواصل الاجتماعي إمكانية إعداد ونشر الحملات التوعوية لدى أوساط المستخدمين، كونها تقوم على إمكانية المشاركة والتفاعل والحوار، وتساهم في زيادة المشاركة ورفع الوعي بخطورتها، كما تعمل على تسليط الضوء وإبراز الأصوات المهمشة.

يُمكن الاستثمار في الوسائط الرقمية للعمل على الحد من العنف ضد المرأة وفضح السلوك، وكذا مقاومة الأعراف الاجتماعية ذات الطابع السلبي التي تقارب العنف ضد المرأة من منظور كونه سلوك عادي لا يترتب عنه أذى مجتمعي، بل قد تعتبره بعض الجماعات كـ "تصرف رجولي"، وهو ما يُبرز أهمية الحملات التوعوية الرقمية في الفضاء الرقمي، وخاصية التداول والانتشار التي تسمح لها بالوصول إلى الفئات المستهدفة ومخاطبتهم بأسلوب قد يسمح بإحداث تغيير في نظرتهم حول الظاهرة.

إنّ التخطيط لحملات التوعية يقتضي في المقام الأول اختيار أنسب الوسائل للوصول إلى الجمهور المستهدف، إذ تبرز وسائل التواصل الاجتماعي في هذا المقام كوسائط تفاعلية تتيح للمرسل حسب كارولايين ماكيم Carolyn Mae Kim فهم استراتيجي لكيفية استخدامها بشكل فعال، وفق نموذج موحد ترتكز عليه الحملات الرقمية، وهو النموذج الذي يعزز المشاركة الاستراتيجية، ويطرح إطارا يمكن من خلاله أن تتشكل الأساليب الإبداعية للعلاقات الاجتماعية (Kim, 2020)، ذلك أنّ الاتصال عبر الحملات الإلكترونية باعتباره نشاط عمومي اجتماعي يتطلب الوصول لأكبر عدد من المستهدفين بسرعة وفعالية، وذلك يتأتى عبر استخدام

استراتيجية الاتصال بالحملات الإلكترونية التي تتميز بالفاعلية واستخدام آليات الإقناع (عميرات، 2019)، وتتميز الوسائط الجديدة بعدة مزايا تجعلها مناسبة للحملات التوعوية؛ من بينها خاصيتها التفاعلية، وقدرتها على توظيف عدة أنساق بصرية مجتمعة كالصورة، النص، الفيديو، خاصية البثوث، وهو ما يساهم في استقطاب أكبر عدد من المستخدمين.

والملاحظ في تونس أنه تم التخطيط لإنشاء ونشر حملات توعوية تفاعلية في الآونة الأخيرة، في محاولة لخلق الوعي الجمعي والتعليم والتوعية بمخاطر هذا السلوك، بما أن الوعي بالعنف الرقمي ضد المرأة منخفض، خاصة وأنه يضم أشكالا عديدة من الأذى الذي يلحقه (الجاني) بالضحية والذي قد يتسبب لها بأذية نفسية وانتهاك كرامتها أو خلق حالة تخويف وعدائية تجاهها.

ثالثا: التحليل السيميولوجي لعينة الدراسة

سنحاول استنطاق دلالات الحملة التوعوية المناهضة للعنف الرقمي ضد المرأة: "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء والفتيات"، نظرا لقدرتها التأثيرية على الرأي العام وخلق تصورات لديه تحاول ترسيخ قوامها من منطلق بصري يحث المتلقي على تأويل النسق المرئي، الذي يسعى المرسل من خلاله إلى تمرير رسائل تناهض شتى أنواع العنف الرقمي ضد المرأة، فالظاهرة تستوجب الخوض في تفاصيلها وفق مقاربة سيميولوجية تدور في فلك التجاسر المعرفي وتموقع ابستمولوجيا ضمن وضعات شتى بغية فهمها.



الصفحة الرسمية للمفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في تونس على منصة فايسبوك

الرسالة التعيينية:

يلفت انتباهنا من خلال مشاهدة الصورة محل الدراسة، أنها تموضعت بشكل جانبي، إذ نلاحظ نسقا تواصليا (أنثويا) يتوسط الصورة يتمثل في فتاة تحمل بيدها اليسرى مظلة مفتوحة، وتضع يدها اليمنى على خصرها، تتدلى خصلات شعرها الطويل أسفل مرفقها، وتتجه بوجهها نحو الشق الأيسر للصورة، يظهر قميصها بتقسيم لوني، حيث يتكون من اللونين الأحمر والبنفسجي، بينما تتموقع رسالة ألسنية بجانبها، تحمل عبارة: PAS D'EXCUSE...، كما انبثقت بالقرب منها كرتان غير منتظمتين شكلا، ذات خطوط كثيفة

عشوائية تحيط بها، مرفقتين بالعبارات التالية: ما خلا وشي للرجال، يحبو الضرب، أعطني نومروك لازم كل مرة نعاود، وتبرز خلف هذا النسق امرأة محجبة، تظهر بشكل مقابل للمتلقى، تحمل بيدها اليمنى يافطة كتب عليها: PAS_D_EXUSE#، فيما يظهر النسق التواصلّي الثالث يسار الإطار، ليمثل أنثى جالسة على كرسي متحرك، تبرز فوقها رسالة ألسنية كتب عليها: العنف الرقبي مانقبلوهش نبلغو عليه.

بالإضافة إلى الرسائل ألسنية سالفه الذكر، تتموقع أخرى على جانبي إطار الصورة، ففي الجزء العلوي الأيمن ظهرت العبارات التالية: UNIES CONTRE LES VIOLENCES NUMERIQUES FAITES AUX FEMMES ET AUX FILLES، بينما تموقع العبارات التالية أسفلها: 16 25 JOURS D'ACTIVISME NOVEMBRE 10 DECEMBRE 2025، أما الجانب الأيسر من الصورة فقد تضمن العبارات التالية: NATION UNIES TUNISIE، تظهر تحتها العديد من النقاط المتباينة الألوان، تبدو مصفوفة على شكل خط مستقيم، بمحاذاتها نلمح شكلا دائريا محاطا بخطوط متناسقة على جانبيه وداخله، بينما وضعت العبارات التالية في الجانب السفلي الأيسر: TOUS UNIS POUR METTRE FIN A LA VIOLENCE A L'EGARD DES FEMMES.

استخدمت عدة أشكال بيضوية ومستطيلة كحامل للرسائل ألسنية، بينما ارتبط الشكل الدائري بعجلات الكرسي المتحرك والمظلة، أما الخطوط فقد تعددت أنماطها بين خطوط مستقيمة وأخرى متكرسة ومتشابكة.

استحوذ اللون الأحمر والبرتقالي والبنفسجي على خلفية الصورة، فيما ظهر اللون الأسود في بعض تفاصيلها، خاصة الكريتان والرسائل ألسنية المرافقة لهما، وتلك التي انبثقت عن الأنساق التواصلية، أما بقية الرسائل ألسنية فقد خطت باللون الأبيض، فيما لونت ملابس الشخص بالبنفسجي والأحمر. تنتقل عين المشاهد في هذه الصورة من اليمين حيث تصطف بعض الرسائل ألسنية، لتتدرج إلى اليسار حيث تتموقع الرسائل الأيقونية والتشكيلية والألسنية..

ساهمت الرسالة ألسنية في هذا المستوى التعييني من التحليل السيميولوجي في إبراز موضوع الخطاب البصري والمتعلق بالحملة التوعوية حول العنف الرقبي ضد النساء. الرسالة التضمينية:

تمثل الصورة ملصقة للحملة التوعوية التي أطلقتها المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في تونس، وضعت على حامل إلكتروني يتمثل في صفحة فايسبوك المسماة: Haut Commissariat aux Droits de l'Homme en Tunisie، بتاريخ 28 نوفمبر 2025، وهي محدودة بإطار ذو مقاس 851 x 315 Pixels وقد نشرت الصورة تزامنا مع الحملة التوعوية التي تم إطلاقها في تونس والموسومة بـ "معا ضد العنف الرقبي المسلط على النساء والفتيات"؛ في سياق عرف استفحال ظاهرة العنف الرقبي ضد المرأة التونسية، وهو ما تؤكد الإحصائيات المتواردة حول الموضوع، ممّا دفع بالمفوضية لإطلاق حملة إلكترونية توعوية لمناهضة شتى أشكال العنف الرقبي ضد المرأة التونسية.

انطلق المرسل في بنائه "للمرئي" من محاولة خلق تمثيلات توعوية للواقع العيني، عبر تعاضد الرسائل الأيقونية والألسنية؛ التي تحاول مخاطبة المتلقى وبسط الكثافة الإيحائية في عناصر أساسية واضحة وبسيطة، لتمير فكرتها الأساسية لعموم مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي. ففي خضم الرسالة المشفرة التي حاول المرسل تمريرها لذهن المتلقى بغية تأويلها وترسيخها لديه، يبرز توظيف الجسد الأنثوي في بعده السيكولوجي الرمزي، إذ تظهر الصورة أيقونة لفتيات تونسيات تبدو على ملامحهن قيمة الثقة والإصرار، فمن خلال ملامح وجوههن خاصة ما تعلق بحركة الشفاه والحواجب، وكذا نظراتهن جرى الترميز لكونهن نساء يتحدن العنف الرقبي الممارس ضدهن، فلقد حاول المرسل استخدام جسد المرأة كحزمة دلالية لـ "التعبير"

في المستوى الأول، والمقاومة في المستوى الثاني، وبين المقصدين تحول الجسد الأنثوي إلى بؤرة دلالية تحاول بناء معاني تأويلية تخوض في ردة فعلها إزاء العنف الرقمي، وتسعى لاستمالة المتلقي عاطفيا لفهم سيكولوجية رفض المرأة التونسية لهذا العنف وإصرارها على إدانته ورفض تبريره، وهو ما توحى إليه العبارة الفرنسية المتكررة PAS D'EXUSE أو "مافماش عذر" باللهجة التونسية، التي تؤكد أنه لا يوجد مبرر للعنف الرقمي الممارس على النساء، وهي تتشكل كشعار للحملة العالمية التي أقرتها الأمم المتحدة سنة 2025 بعنوان: No Excuse، واستعمل الهاشتاج HASHTAG لترسيخ هذه الرسالة وجعلها أكثر تداولاً ومشاركة باعتبارها مطلباً جماهيرياً يسلط الضوء على الظاهرة ويسعى لمحاسبة "الجناة"، وخلق وعي لدى الجمهور المستهدف بضرورة مناهضة العنف الرقمي الذي تتعرض له المرأة التونسية.

أعاد المرسل إنتاج الجسد الأنثوي خلافاً لتراكماته في الثقافة العربية التي عبر عنها عبد الله محمد الغدامي في كتابه المرأة واللغة بأن: "كل ما تملكه اللغة من ذاكرة عن المرأة هي أنها جسد لا يملك سوى دلالة واحدة هي دلالة شبقية، وكل رسائل الجسد الأنثوي ولغته ليست سوى هذه الدلالة الشبقية" (بوسيس، 2013). فلقد حاول المرسل استبعاد هذه الدلالات عن ذهن المتلقي وتقويضها بالانكفاء على شيفرات ضمنية تخلق نوعاً من التضامن مع شخصية المرأة وتحاول وسمها بدلالة ضرورة تجاوب المتلقي مع مخرجات الحملة التوعوية للوقوف في وجه التعنيف الرقمي الذي تتعرض له النساء التونسيات، واجتناب الخوض في جسدها الأنثوي من منطلق ذكوري؛ فلقد حظي الجسد الأنثوي بالكثير من الأحكام اللاموضوعية الخاضعة للهيمنة الذكورية، في مجتمع يسمه نظامه الأبوي البطريركي، وهو ما خلق صورة ذهنية تقارب الجمال، الاستكانة والخضوع، نالت عبرها هذا التقدير الدوني (بن عبد الله، 2005). وهو ما ذهب إليه كلود ليفي ستروس الذي يعتقد أن المرأة التي هي موضوع التبادل يجب أن تخضع لمنطق العفة والطهارة والشرف الذي يقضي بالحفاظ على سلامة الجسد لسلامة الجماعة، ويصبح رمزاً لشرف القبيلة المانحة (العتوم، 2013). فالصورة قيد الدراسة تحاول طمس الدلالات المغروسة بعمق في الثقافة الجندرية، واستبدالها بدلالات توضح ضرورة مناهضة العنف الرقمي والتبليغ عنه كما جاء على لسان المرأة من ذوي الاحتياجات الخاصة "العنف الرقمي ما نقبلوهش نبلغو عليه"، والتي جرى استحضارها في هذا السياق للترميز إلى العنف الرقمي الذي تتعرض له النساء من ذوي الاحتياجات الخاصة.

فيما تشير حركة اليد الموضوعية على خصر الفتاة إلى علامة ذات بعد سوسيولوجي جندري فهي ترمز عند النساء للثقة في النفس، بينما تتشكل المظلة التي تحملها كمعنى يتجاوز دلالتها التاريخية كرمز للملكية حيث يقتصر استخدامها على عليا القوم من الطبقة الأرستقراطية (البهكلي، 2015)، أو دلالتها الوظيفية كأداة تستخدم للحماية من المطر أو أشعة الشمس؛ لتنتج في سياق المرئي دلالات تربطها بالأنوثة وتؤشر على الرغبة في دفع المرأة إلى حماية نفسها من العنف الرقمي، الذي وظفت رسائل تشكيلية وألسنية للدلالة عليه، فكومة الخيوط السوداء المتكومة تستمد دلالتها كمؤثر كرتوني يستخدم عادة في المجالات المصورة الكرتونية والدرامية ليرمز إلى سيكولوجية الشخصيات "الشريرة" التي تعاني من مشاكل نفسية وتتسم بعدم الاتزان، ويحاجج المرسل في هذا المعنى ويدعمه من خلال الرسائل الألسنية التي رافقتها، وهي ألسنيات تعرض جانباً من العنف اللغوي الرقمي الذي يشيع في الفضاءات الافتراضية، من قبيل افتراض أن النساء لم يتركن شيئاً للرجال، والمقصود الأساسي هنا هو اتهامهن بالاستحواذ على مناصب العمل، ومقولة أنهن يحبن الضرب، التي تشكل رسالة مضمرة تدعو لتعنيفهن، إضافة إلى دلالات التحرش التي تحملها عبارة أعطني رقمك، والتي جاءت بصيغة التهديد، كون الكلام ليس طلباً فهو يوجي بغضب قائله وعدم رغبته في إعادة كلامه كل مرة.

كما اعتمد المرسل على التنوع في رسائله الأيقونية، حيث استدعى أنساقا تواصلية متعددة ليرمز إلى أنّ هذه الظاهرة تمس النساء التونسيات على اختلاف ثقافتهن، حيث تظهر المرأة المحجبة وغير المحجبة، وإبراز أنّ النساء من ذوي الاحتياجات الخاصة عرضة للتعنيف الرقمي، بالإضافة إلى أنّ أشكال العنف الرقمي من تحرش وتنمر وإساءة تُمارس ضد الإناث ويشمل النساء والفتيات على حد سواء.

اعتمد الرسام على الشكل البيضوي كحامل للرسائل الألسنية، وهو شكل دال على البقاء يعطي إحساسا بالحركة، كما ولدت الخطوط سمات جمالية فهي تعد حسب ليوناردو دافنشي Leonardo Da Vinci رمزا ومحاولة لجعل الواقع مرئيا (حسن و آخرون، 2022)، فالخطوط المتكسرة توحى بالديناميكية وتعبّر عن المشاعر المختلطة، كما تَبَسُّط حدة تنامي الظاهرة في البلد، أمّا الخطوط المتماوجة التي تتشابك لتبدو ككريتان، فهي تبعث أحاسيسا تفيض بالفوضى، وتعبّر عن الاضطراب النفسي للجنة.

فيما تعلق بالمدونات اللونية، فلقد بسطت حملتها الدلالية الرمزية، حيث اعتمد المرسل على عدة ألوان استحوذت على خلفية المرئي (الأحمر، البرتقالي، البنفسجي)، قاصدا من خلال توظيفها جعل المتلقي يركز على عمق الفكرة التي يهدف لتمريرها، فاللون الأحمر ذو مدلولات متباينة، وبشكل عام فهو يرمز للنشاط والقوة، ويرتبط بالفرح والشجاعة والثأر، كما يدل على إراقة الدماء، كونه مرتبطا بالقتل، ويدل أيضا على الموت واحتدام الحروب (العجمي و آخرون، 2020)، بينما يقتزن هذا اللون عند النساء بمعاني الحب والجادبية والقوة، ويعزز دلالات الثقة بالنفس لديهن، فيما يعد اللون البرتقالي لونا مليئا بالحياة، ترتبط مدلولاته بالصحة والطاقة، فلقد سُمي نسبة لفاكهة البرتقال، أمّا اللون البنفسجي فهو من الألوان الثنائية، إذ يتكون من الأحمر والأزرق، ومن جملة المعاني التي يحيل إليها: العاطفة والحب والذكاء (بن صالح، 2020)، وهو لون محبوب لدى النساء، يرمز لتفردهن وإبداعهن، ويعد امتزاج هذا اللون رفقة الأحمر في لباس الشخصيات ذا مدلول رمزي، فلقد أشارت بعض الدراسات إلى العلاقة بين ممارسات الملابس وسمات الشخصية وتمثيلات الجسد لدى النساء، فاختيارهن للملابس يساعد على تعزيز المصادقة على الذات، كما تؤثر ألوان الملابس التي ترتديها على حالتنا النفسية (البادري، 2023).

انعكست مقصدية المرئي على الألوان الموظفة في بنيته، ذلك أنّ الكريات المتكومة والرسائل التي رافقتها تظهر سوداء معتمة، وهو ما حاول المرسل من خلاله إبراز العمق والمشاعر السلبية التي يُحاول الجنة إضفاءها على المشهد النسوي، أما اللون الأبيض الموظف في بقية الرسائل الألسنية فهو يستدعي انتباه المتلقي لفهم طبيعة الحملة التوعوية وإدراك شعارها وأهدافها، فالخامة اللونية هنا إضافة إلى رمزيها كونها ألوان ملطفة ومهدئة للجسم والعقل تخلق نوعا من التناغم والهدوء والاطمئنان، فهي تسعى لجعل الرسالة واضحة بغية إدراكها بسهولة، فلقد تناوبت الألوان على إضمار دلالة تنحو بسيكولوجية متصفّح الحملة نحو معاني حفظ خصوصية المرأة وشخصيتها.

١٧. نتائج الدراسة

- استعرضت الحملة التوعوية بعض أشكال العنف الرقمي الذي تتعرض له المرأة التونسية، كالتحرش والملاحقة الرقمية، العنف اللفظي والتهديد والابتهاام.
- تشكلت بعض العلامات السيميولوجية التي حاولت تمثل (الجنة) بشكل مضمّر على أنّهم غير مستقرين نفسيا وعقليا، فيما تم الترميز لثقة وصمود النساء وقدرتهن على حماية أنفسهن عبر توظيف شكل المظلة واستحضار لغة الجسد، كما استخدم المرسل التكرار كاستراتيجية للتأثير في المتلقي وترسيخ فكرة أنّ هذا السلوك غير مبرر، مع التركيز على إظهار البعد الجمالي الأنثوي عبر الألوان والأنساق التواصلية.

- اعتمد المرسل (المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في تونس) على التمازج الألسني في الشكل والخطوط، وباللغتين الفرنسية والعربية (الدارجة التونسية)، لإقناع المتلقي ووضعه أمام خيار المشاركة في التصدي للظاهرة.
- تراوحت الدلائل الأيقونية والألسنية لتوجيه المتلقي نحو قراءة وتأويل المضمر، فالرسالة الألسنية وُظفت لـ ترسيخ معاني الصورة وإزاحة التأويلات الأخرى التي قد تكون لدى المتلقي، كما أدت وظيفة المناوبة، فالأشكال لوحدها غير قادرة على توضيح المعنى العميق للصورة، لذلك عمد المرسل إلى توظيف هذه الرسائل بهدف التأكيد على ضرورة التضامن لإدانة سلوك العنف الرقمي ضد المرأة، ورفض مبرراته، وتبسيط الضوء على ممارسته في الفضاء الافتراضي التونسي، ومحاولة خلق مقاومة رمزية للعنف الرقمي ضد المرأة وتداول لهذه الحملة التوعوية المناهضة للظاهرة.
- تتضح الوظيفة الدلالية المهمة للون في النسق المرئي قيد الدراسة، نظرا لقدرته التأثيرية وارتباطه بالحالة السيكولوجية؛ فالصورة رغم أنها كثيفة من حيث توظيف الدلائل الأيقونية إلا أنها استثمرت في المدونات اللونية المناسبة لدعم الأيقوني والألسني وإبراز مقصديتهما، من خلال ضخ المشاعر ومحاولة استدراج المتلقي وضبط حالته النفسية، فهي تحاول إرسال رسالة متعددة الاتجاهات سواء للنساء والفتيات التونسيات أو للفرد التونسي بشكل عام، والسلطات المعنية، لتدفع المتلقي -بشكل عام- لتبني مخرجات الحملة التوعوية.
- لم يغفل المرسل في مداليه الأيقونية إظهار الحالة السيكولوجية للمرأة التونسية وتوطين ضرورة احترام شخصيتها في مجمل رموز المرئي السيميولوجية، وهو ما يُفضي إلى تنوع أسلوبه الفني الذي يهدف إلى جذب انتباه المتلقي وتوعيته بضرورة مجابهة العنف الرقمي ضد المرأة.

٧. خاتمة:

تُظهر الدراسة السيميولوجية (وفق مقارنة رولان بارت) للحملة التوعوية المناهضة للعنف الرقمي ضد المرأة في تونس "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء والفتيات"، أنّ هذه الحملة التوعوية قد استجذبت عبر بنيتها المرئية الرقمية بدلائل أيقونية وألّسنية، واتكأت على رمزية الخامات اللونية ودلالاتها السيكلولوجية لبناء تصورات كثيفة الإيحاء تساعد المتلقي على إدراك ظاهرة العنف الرقمي ضد المرأة في تونس من أجل انتاج تصرف وردة فعل لديه حول ضرورة المشاركة في مجابهة الظاهرة والكف عن السلوكيات التي من شأنها إيذاء النساء والفتيات وتقويض راحتهن وحريتهن داخل الفضاء الإلكتروني.

من منطلق أنّ الحملات التوعوية تعد مقياسا فعالا للتغيير الاجتماعي والثقافي في بيئة رقمية تتسم بتشعبها وتعقد الظواهر والممارسات والسلوكات التي تمارس في فضاءاتها خاصة ما تعلق منها بوسيلة التواصل الاجتماعي "فايسبوك"، سمحت لنا الدراسة السيميولوجية بالولوج لدلالات الحملة التوعوية "معا ضد العنف الرقمي المسلط على النساء والفتيات" وفهم مقصديتها انطلاقا من كونها تحمل تناصا واقعيا وثقافيا وتستقطب المتلقي بهدف توعيته وتعريفه بخطورة الظاهرة وضرورة محاربتها وتجريمها، فهي تستنطق القدرة التأويلية لديه وتحاول استمالاته عاطفيا ضمن استراتيجيتها التواصلية بهدف تحقيق فعاليتها.

تبرز في هذا السياق أهمية التركيز على الحملات التوعوية الرقمية لمناهضة العنف ضد المرأة، كاستراتيجية ذات بعد تفاعلي قد يُسهم في نشر الرسالة التوعوية وتغيير القيم المتراكمة والمنتقلة حديثا إلى الفضاء الإلكتروني، خاصة وأن ظاهرة العنف الرقمي في تزايد مستمر، ما يستدعي بناء حملات توعوية تستهدف خلق تمثيلات جديدة في ذهن المتلقي العربي المتأثر بالثقافة الجندرية، لإعادة توصيف السلوك وإخراجه من طابعه "العادي حسب السياقات السوسيوثقافية المحلية"، وتوعيته بضرورة نبذ السلوك والاشتراك طواعية في محاربته.

الإحالات والمراجع:

- Rai, S., & Others. (2017). Globalization And Digital Violence Against Women In New Media. *International Journal Of Applied Research*, 3(6), 961-966.
- Bhattacharyya, R. (2018). Metoo Movement: An Awareness Campaign. *International Journal Of Innovation, Creativity And Change*, 3(4), 1-12.
- Kim, C. (2020). Social Media Campaigns: Strategies for Public Relations and Marketing. New York. doi:https://doi.org/10.4324/9781003020196
- Lazar, J. (1991). *Sociologie de la communication de masse*. Paris: Armand Colin.
- Özsungur, F. (2021). Strategic Social Work Management In Digital Violence Against Women. *Journal Of Society & Social Work*, 32(2), 661-687.
- أمال عميرات. (2019). *مهارات الاتصال في العلاقات العامة*. الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- إيمان بن الحاج. (08 12, 2021). 89 بالمائة من نساء تونس تعرضن للعنف الرقمي. تاريخ الاسترداد 11 23, 2025، من العربي الجديد: <https://www.alaraby.co.uk>
- حسن بن إبراهيم العجمي، و آخرون. (2020). الألوان ورمزيتها في الشعر العماني الحديث دراسة وصفية تحليلية. *المجلة الدولية للإلكترونية للعلوم الاجتماعية المتقدمة IJASOS*, 6(18)، 1106-1192.
- ذكرى بن صالح. (2020). الرمز اللوني في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج. *مجلة الخطاب*, 15(1)، 129-154.
- زهية بن عبد الله. (2005). الجمال والجسد الأنثوي: التمثيلات والممارسات. *مجلة إنسانيات*, 9(3)، 29-47.
- سعود مبارك البادري. (2023). مدى تأثير الملابس ودلالات ألوانها على الحالة المزاجية دراسة تطبيقية على المجتمع العماني. *مجلة دراسات في علم النفس الصحة*, 8(1)، 17-36.
- صباح البهكلي. (2015). دراسة تاريخية لمكلمات الأزياء عبر العصور التاريخية المختلفة. *المجلة العلمية لكلية التربية النوعية*, 2(3)، 43-86.
- صلاح عبد الحميد، و يمني عاطف. (2014). *الإعلام والفضاء الإلكتروني*. الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.
- فريق التحرير. (27 11, 2025). دراسة أممية: 60% من التونسيات تعرضن للعنف الرقمي وسط فراغ قانوني. تاريخ الاسترداد 05 01, 2026، من Ultra تونس: <https://ultratunisia.ultrasawt.com>
- ميسون العتوم. (2013). جسد المرأة والدلالات الرمزية: دراسة أنثروبولوجية بمدينة عمان (الأردن). *إنسانيات*, 17(1)، 11-31.
- نهى السيد أحمد ناصر. (2022). دور الحملات الإعلامية الرقمية في التوعية بالمبادرات المجتمعية للحكومة السعودية في ضوء رؤية المملكة 2030. *المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان*, 24(24)، 123-163.
- هبة حسن، و آخرون. (2022). الخط كأحد أهم عناصر التشكيل في الفن والتصميم. *مجلة علوم التصميم والفنون التطبيقية*, 3(1)، 368-375.
- هشام بوعلی. (13 11, 2020). *العنف الرقمي ضد النساء صرخات احتجاج ومبادرات للمواجهة*. تاريخ الاسترداد 05 12, 2025، من TRT عربي: <https://www.trtarabi.com/article/3531050>
- وزارة المرأة والأسرة والطفولة. (2020). *التقرير الوطني حول مقاومة العنف ضد المرأة في تونس*. تونس. تم الاسترداد من <http://www.femmes.gov.tn/wp-content/uploads/2017/07/Rapport-AR-03-08-2021-1.pdf>
- وسيلة بوسيس. (2013). صورة الجسد الأنثوي في الموروث العربي حفريات ثقافية. *مجلة النص*, 8(1)، 56-66.